المفردات ، والتراكيب ، أي أنه كان مساوياً للجراماتيكاً اليونانية[1] ، أو Grammaire الفرنسية .

لكنّ هذا المنهج التأليفيّ في دراسة الصرف ، سواء أكان جزءاً من النحو أم منفصلاً عنه ، لم يتطوّر ليدرس الكلمة التي تتأهب للدخول في الجملة ، ولم يصبح كما كان يجب أن يكون موقعه من الدرس اللغوي عند العرب ، إذ «من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف ، لأنّ معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة»[2] ، بل بقي النحاة ينظرون إلى التصريف ، في معظم الأحيان ، على أنّه علم عويص صعب ، فأخّروا مباحثه في كتبهم ، ونظروا اليها ، كما لو كانت مستقلة ، ولم يربطوا بين مباحث الصرف بعضها ببعض ، وبينها وبين علم النحو ، بل أوقفوا منهجهم التأليفي على رأسه ، وقلبوا الآية ، فبدلاً من أن يكون الصرف تمهيداً للنحو ، أصبح النحو تمهيداً للصرف ، وعلّلوا ذلك بقولهم إنّ «هذا الضرب من العلم لمّا كان عويصاً ، صعباً ، بُديء قبله بمعرفة النحو ، ثم جيئ به ،

---

(١) الخوارزمي ، ابو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف ، **مفاتيح العلوم** ، ليدن (١٨٩٥ م)، ص : ٤٢ ، حيث يقول «هذه الصناعة تسمى باليونانية «غراماطيق ، وبالعربية النحو».

(٢) ابن جني ، المنصف ، ص : ١ / ٤.